



القيم هي ما توصلَ له عقل إنسان ما في مكان ما، حيث تصبح هذه القيم هي المحرك للفرد والمجتمع ويشارك البشر بقيم معينة؛ حيث إنَّ قيم الصدق والتزاهة والأمانة وغيرها، يشترك فيها جميع البشر، إلا أنَّ بعض القيم تختلف من فرد لفرد، ومن مجتمع آخر، فتختلف القيم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها من الاختلافات .

هذه القيم تحول إلى عاداتٍ سلوكية يقوم بها الفرد والمجتمع وتكون أقوى أحياناً من القانون أو من الدين نفسه نتيجة الجهل ، فالناس متدينون بطبيعتهم إلا أنَّ فطرتهم التي فطروا عليهم وببيتهم هي المحرك لسلوكهم.

إلا أنَّ القيم لا تكون دائمًا في الاتجاه الصحيح؛ فتعتمد الحكومات إلى سن القوانين واللوائح بعضها مستمدٌ من الأديان، وبعضها مستمدٌ من الفكر والحكمة .

لا بدَّ لكل مجتمع من بوصلة يحکم إليها للوصول إلى الغايات، والبوصلة تختلف عن القيم في أنها مبدأ موثق، وهو دين سماوي من لدن حكيم عليم .

وهناك من المجتمعات من ارتضى أن يخط لها أحد الحكماء دينها مثل ماوتسى تونغ وماركس وغيرهما ..

البوصلة هي الرؤية التي تستشرف المستقبل أو الدين السماوي أو الشريعة المرنة التي توأكب روح العصر دون أن تفقد أصولتها، وهي تحتاج إلى قادة أذناد، يعيشون الواقع وروح العصر، ولكنهم يتمسكون بعقائدهم، ويلهمون أتباعهم عن طريق تحويل هذه الرؤية إلى مبادئ يعتنقها كل من يحملها .

في عالمنا العربي ما زالت القيم والعادات والتقاليد تحكم وتسيطر على سلوكنا بعد أن جاء الإسلام لهدم كل القيم السلبية وتوجيه القيم الإيجابية وتنظيمها كما قال صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لاتتم مكارم الأخلاق".

في التشريع الإسلامي لا اجتهاد في النصوص، إلا أن الاجتهاد في غير ذلك هو روح التشريع، فالإسلام يضع المعايير التي تكفل المصالح، فهي مرجع ومنارة لمن أراد الاهتداء، ومن ثم على المسلمين ألا يكونوا جامدين فيحاكونا الواقع من روح هذا الدين بالاجتهاد والقياس .

تمور دولنا العربية بالأحداث وتضطرب، ولكل أناس مشربهم؛ فلا تجد إجماعاً على موقف لمعظم قضايا الأمة، فالذبح والقتل في كل مكان، والمقدسات تستباح، ونختلف حتى في البديهيات، ومن المعلوم من الدين بالضرورة؛ إما لجهل أو تعصب أو عمالة ، قل ما شئت فكل ما ذكر يصب في مصلحة أعداء الأمة .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **تركتُ فيكم أمرينِ لن تضلُّوا ما تمسَّكُمْ بهما : كتابَ اللهِ وسُنّةَ رسولِهِ .**

إلا أن هذه الشريعة الغراء التي أنزلها الله وارتضاها عباده، وأيد بها أفضل رسليه؛ محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وخيره صحبه، كوكبة من الأولين الأطهار رضي الله عنهم، لا بد لها من أن يؤخذ بها ويقود الأمم إليها كما فعل عملاقة الإسلام من أمثال الخلفاء الراشدين الخمسة، ومن بعدهم رجال أطهار أكملوا المسيرة إلى يومنا هذا.

يقول عثمان رضي الله عنه : " إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن "

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعماء قريش يتصدرون المشهد فأتباعهم على صنفين:

صنفٌ يتبع هؤلاء السادة على تحوّف ووجل، وهو صنف العبيد والمستضعفين، وصنفٌ آخر يتبعونهم لمنفعة متبادلة بين التابع والمتبوع؛ منافع على الدنيا والمادة لا أكثر!

أما رسول الله فكان يحمل ديناً عظيماً موحىٰ إليه من ربـهـ، وكان يحمل صفاتٍ عظيمة تؤهلـهـ إلى حـمـلـ الرـسـالـةـ؛ فـهـيـ جـانـبـيـةـ الـهـدـفـ وـالـمـحـتـوىـ وـجـانـبـيـةـ الشـخـصـيـةـ اـجـتـمـعـتـاـ لـتـشـكـلـ قـائـدـاـ فـرـيـداـ لـمـ تـحـمـلـ الـبـطـحـاءـ عـظـيـماـ كـعـظـمـتـهـ، فـكـانـتـ قـيـادـتـهـ تـرـتـكـزـ عـلـىـ مـبـادـئـ وـقـيمـ وـأـخـلـاقـ، وـهـذـهـ التـيـ تـدـوـمـ، أـمـاـ الـقـيـادـةـ التـيـ تـرـتـكـزـ عـلـىـ الـخـوـفـ وـالـمـنـفـعـةـ فـهـيـ تـزـوـلـ بـزـوـالـ مـسـبـبـهـاـ .

قيادةٌ تحمل رؤية عظيمة تجعل كل فرد تابعاً قائداً في نفسه، ليست فقط تجلب الحاجات الفسيولوجية والأمنية وإنما تحقق الاحترام وتحقق الذات، هدف أكبر من الأفراد أنفسهم يتعدى حياتهم الدنيا إلى الآخرة ، والآخرة خيرٌ وأبقى .

لم يتبع الصحابة رسول الله على خوف منه، ولم يتبعوه طمعاً في دنيا، ولكنه الاتباع القائم على الاقتناع بعظمة القائد وعظمة الإسلام (الرؤى) الذي جاء به .

حمل القادة بعد رسول الله هذه الأمانة الثقيلة، ففتحوا الفتوحات ونشروا الإسلام في أوروبا والصين وأماكن بعيدة، كل ذلك لما كان شرع الله يحمله قادة يقدرون قيمة الأتباع، وأتباع يقدرون قيمة الإسلام ومن يحمله .

استطاع الغرب أن يهزمنا رغم أننا نحمل المنهج الصحيح؛ لأنَّ الغرب يحملون منهجاً قيادياً إدارياً، أبدعوا فيه رغم أنه لا دين فيه، وبالتالي لا روح فيه ، أما نحن فلم نتبع منهجاً فكانت الغلبة للأصلح والأفضل .

ويخلص مايكل بورتر المعادلة بقوله : " إنَّ التنفيذ الجيد لاستراتيجية سيئة أفضل من تنفيذ سيء لاستراتيجية جيدة"

الإسلام اليوم

المصادر: